سلطات الاحتلال، او كما يحلو للبعض القول انه تجزيء للقضية الفلسطينية. ونقول ان هذا قد يكون صحيحاً، اذا كان الوعي الوطني الفلطسيني لدى اولئك السكان أدنى من مستوى الوعي بقضية الشعب الفلسطيني، واذا كان مقتصراً على حدود الاحساس بالمعاناة اليومية للسكان، وهو ما يطرحه الوجهاء الموالون للاردن، والاردن نفسه.

لكن الرؤيـة المتعمقـة للواقع الفلسطيني تحت الاحتلال، الذي تجلى في بروز مقاومة مسلحة بوسائل بدائية، تفيد بأن درجة الوعي الوطني الفلسطيني لدى السكان هؤلاء وصلت مستوى الرؤية التاريخية في النضال الفلسطيني، الذي لا يمكن القبول فيه بمستوى اقل من «وطن للفلسطينيين»، الذي سوف يشكل البداية لـ «دولة الفلسطينيين» على غرار «دولة اليهود»، ان لم يكن البداية لـ «دولة فلسطين». فقد بات واضحاً ان القضية الفلسطينية لا تقبل القسمة. ولا نغالي اذا قلنا ان القضية الفلسطينية سوف تتضمن، مع الوقت، حلاً لمشكلة السكان اليهود الذين يعيشون الآن على ارض فلسطين. فالحلم بـ «دولة فلسطين» يمتلك من مقومات الوجود والاستمرار اكثر مما يمتلكه مشروعا «دولة اليهود» و «دولة الفلسطينيين». وهذا ما نسوقه رداً على الادعاء الذي اسلفنا الاشارة اليه في بدايـة هذه الفقـرة؛ فنحن لانستطيع التشكيك بمصداقية هذا الوعي الوطني لدى سكان المناطق المحتلة. فقـد تعـرف الفلسطيني الى نفسه تحت الاحتلال، كفلسطيني؛ كما تعرف الفلسطيني في الشتات، في وقت سابق، الى نفسه كفلسطيني. وكما حمل الشتات الفلسطيني راية النضال من اجل «وطن للفلسـطينيـين»، يستـطيـع الداخل الفلسطيني ان يحمل الراية ذاتها. وكما القى الشتات الفلسطيني «القفاز» في وجه الحكومات العربية، عندما اعلن الكفاح المسلح، حسب قول صلاح خلف (ابو اياد)، فان على الداخل الفلسطيني ان يلقي «القفاز» في وجه اسرائيل، وجعل القضية الفلسطينية «مشكلة اسرائيلية»؛ وهو العنصر القادر، اكثر من غيره، في الظروف الراهنة، على القيام بهذه المهمة، ومتابعتها حتى النهاية، حسب كل المقاييس والاعتبارات.

ملاحظات من التجربة الفلسطينية

لقد كان مقتل الحركة الوطنية الفلسطينية ليس انقسامها حول المشروع الوطني الفلسطيني، بل حول نفسها على اساس الولاءات الخارجية (بين الدول العربية والدول الاجنبية). وتعاني منظمة التحـريـر الفلسـطينية من الوضع ذاته الذي انهى تجربة الحركةالوطنية الفلسطينية التي قادت النضـال الفلسطيني خلال فترة الانتداب. وهذا الوضـع هو الذي دفع المنظمات الفلسطينية التي حضرت دورة المجلس الوطني الثامنة عشرة الى وضع ما يشبه «ميثاق شرف»، يقتضي، بموجبه، ان توظف المنظمات الفلسطينية علاقاتها مع الانظمة العربية والدول الاخرى لصالح م.ت.ف. وليس العكس. مع ذلك، هناك العديد من التنظيمات الفلسطينية التي تعتبر امتداداً للواقع العربي داخل م.ت.ف.؛ وهي، بحكم شروط حياة اللجوء، اولاً، وبالتأثير الدعاوي، السياسي والايديولوجي، للانظمة العربية، ثانياً، خاصة القومية منها، تجد لها موالين في الشتات الفلسطيني. وتوظف هذه المنظمات، والموالون لها، في محاربة م.ت.ف. والتهديد بخلق بديل منها، تحت ذرائع متعددة متنوعة. وقد خاضت م.ت.ف. منذ العام ١٩٨٣، معركتي اثبات الشرعية والوحدة الوطنية، فخسرت بذلك خمس سنوات من النضال في صراع حاد، ليس مع العدو الصهيوني، بل مع الاشقاء العرب، ومع الذات الفلسطينية، لشـأن يفترض انه من المسلم به، منذ قرارات الرباط في العام ١٩٧٤، عربياً، ومنذ برنامج النقاط العشر، فلسطينياً. كما خاضت منظمة التحرير الفلسطينية أشرس معاركها العسكرية للعودة الى محيط فلسـطين المبـاشر لتجـديـد الاحتكـاك العسكـري مع العـدو الصهيوني. وبغض النظر عما اذا